

## أنيس محسن

### شاتيلا... علي أبو طوق والذاكرة المستعادة



مدخل شاتيلا

نسبة سكان فلسطينيين معقولة، وتمتزج مع الجوار السنّي بصورة خاصة. لكن المخيم نفسه، أي النواة الداخلية، ليست فلسطينية صرفة... فسكان النواة تلك

لم يعد مخيم شاتيلا كما كان... تلاشت حدوده مع محيطه، بل ذاب في المحيط وصغر حتى بات بمساحة عشرات الأمتار داخل نواة المخيم القديم. عند الدخول إلى شاتيلا من جهة الشرق، من حي فرحات المجاور، على قاصد المخيم السير طويلاً بين أعلام ورايات حركة أمل، قبل أن يلاحظ وجود أعلام فلسطينية ورايات خضراء وشعارات فصائل المنظمة. ومن الغرب تمتد سوق شعبية من جنوبي شارع صبرا إلى شماليه، تختلط فيها أنواع وأصناف البضائع من ملابس والإلكترونيات ومفروشات ومأكولات ومحلات سمانة وخضار، ويختبئ المخيم خلف تلك السوق/ الغابة الفوضوية، ولولا وجود المقبرة الجماعية لشهداء مجزرة صبرا وشاتيلا في سنة ١٩٨٢، فإن الداخل لن يعرف أنه متوجه إلى شاتيلا.

جنوبي المخيم، أو ما يعرف بمنطقة الحرش التي توسعت الفصائل الفلسطينية إليها من المخيم قبل سنة ١٩٨٢، بات منطقة سكنية لبنانية شيعية مئة في المئة، وهي كانت قبلاً مختلطة مع أغلبية لبنانية. أما شمالي المخيم فهو كجنوبه، مع



الضريح في المرحلة الأولى من عملية الترميم

عوض (جراد)، أنه عندما زار لبنان مع رفيقه في الكتيبة أبو نضال في نيسان / أبريل ٢٠١٤، بعدما كان قد غادره في سنة ١٩٨٥، وقصدا ضريح الأخ علي أبو طوق، القيادي في الكتيبة وأحد مؤسسيها، "صدمنا من حالة ضريح الأخ علي وأضرحة شهداء حصار شاتيلا، حيث كان الوضع يرثى له... كانت القاذورات تملأ المكان الذي يبدو مهملًا تمامًا."

ألمهما ما شاهدها، فتوجها مباشرة إلى السفارة الفلسطينية ونقلوا صورة عمّا رأياه، وتحديثا مع السفير الفلسطيني أشرف دبور والقيادية في حركة "فتح" أمّنة جبريل عن ضرورة إعادة تأهيل الأضرحة، وتم التوافق على أن يعود خليل وأبو نضال خلال ٤ أو ٥ أشهر لحل هذه المشكلة.

يقول خليل عوض: "غادرت أنا إلى

اليونان، والأخ أبو نضال إلى الأردن واتصلنا بأعضاء الكتيبة (الجرمق)، وبدأنا بجمع تبرعات لإعادة تأهيل الأضرحة، ثم عدنا إلى لبنان وباشرنا عملية التأهيل،

باتوا، فضلاً عن الفلسطينيين واللبنانيين، من التابعيات السورية والسريونكية والحبشية والبنغالية.

والذي يجمع ما تبقى من المخيم مع المحيط، هو مظاهر الفقر المدقع وغياب البنية التحتية والمياه الآسنة التي تفتقر الطرقات شبه المزفتة أو المغطاة بطبقة أسمنتية داخل نواة المخيم.

لم يعد المخيم الذي كان يوماً عاصمة الفصائل الفلسطينية، قبل أن تتمدد نحو الفاكاهاني وتجعلها عاصمة لها، مخيماً بالمضمون الذي تعرفه المخيمات الفلسطينية، بل إن ذاكرة المخيم كادت تتلاشى.

في منتصف نواة المخيم، ثمّة جامع... وفي أرض الجامع مقبرة لشهداء المخيم الذين سقطوا خلال حصار حركة أمل للمخيمات بين سنتي ١٩٨٧ و١٩٨٨، وبينهم الشهيد القائد علي أبو طوق. والمقبرة تلك، مثلها مثل باقي المخيم، كانت مهملّة تماماً. يقول القيادي في كتيبة الجرمق خليل



خلال افتتاح الضريح بعد إعادة تأهيله

الأمر أفضل كثيراً، وكان حفظ الكثير من الدماء. وأعطى مثلاً التحصينات التي أنشأها الشهيد في قلعة الشقيف قبل الغزو الإسرائيلي للبنان في سنة ١٩٨٢، والتي مكّنت المدافعين عن القلعة من الصمود وتسطير ملاحم بطولة في مواجهة القوات الإسرائيلية، ثم التحصينات التي أنشأها في منطقة الجبل، والتحصينات التي أنشأها في سنة ١٩٨٣ في طرابلس قبل المعركة التي شدّها النظام السوري على المقاومة الفلسطينية هناك". جرت تلك الدردشة مع "جراد" على هامش احتفال بإعادة افتتاح أضرحة شهداء حصار شاتيلا في ٦ تشرين الثاني/نوفمبر ٢٠١٤، بعد تأهيل المقبرة، الذي بلغت تكلفته ٢٥,٠٠٠ دولار أميركي، كما يقول خليل عوض، جمعت الحملة التي باشرها مع أبو نضال وساهم فيها أعضاء من الكتيبة، ١٩,٥٠٠ دولار، وساهمت السفارة الفلسطينية واتحاد المرأة الفلسطينية بباقي المبلغ. استعاد مخيم شاتيلا من خلال إعادة تأهيل المقبرة، بعض ذاكرته التي كادت تتلاشى. وشعر أهل المخيم من اللاجئين

وكانت السفارة متعاونة جداً ومدت يد المساعدة لنا لإنجاز هذا المشروع." تغرورق عينا "جراد" بالدمع، ويختفي صوته تأثراً عند سؤاله عما كان سيفعله أبو طوق لو كان حياً اليوم، في هذه اللحظة التاريخية المفصلية التي تمر بها المنطقة؟ يقول: "علي أبو طوق كان دائم المبادرة وكان محرك كتيبة الجرمق. أعتقد أنه لو كان حياً لتوجه إلى غزة؛ كان جمعنا وتوجهنا لنكون في الخطوط الأمامية في قطاع غزة." ومن المعروف أن الشهيد علي أبو طوق كان يفكر في الوقت ذاته في تأمين الحماية للمدنيين وللمقاتلين. فيضع خططاً لحفر الخنادق والتدشيم للمقاتلين، والملاجئ والعيادات الطبية للمدنيين. فعلى سبيل المثال، إن الملجأ الذي أقيم في شاتيلا خلال حصار المخيمات لا يزال موجوداً إلى الآن، ويشار إليه باسم ملجأ علي أبو طوق. فهل كان ليقوم بالشيء نفسه في غزة؟ يجيب خليل عوض: "من المعروف عن الشهيد علي أبو طوق أنه كان رجل المهمات الدقيقة. كان يحسب حساب كل الأشياء. في تقديري لو كان حياً وكُنّا في غزة لكانت

قبل أن يعيد إليه الشهيد علي أبو طوق بعض  
ذاكرته، مثلما ساهم مع أبنائه خلال حرب  
المخيمات في تثبيت المخيم في موقعه بعدما  
أريد له أن يتلاشى عن وجه البسيطة. ■

الفلسطينيين بأن ثمة من لا يزال يتذكرهم...  
لكن المبادرات الخاصة لا يمكنها إلا أن  
تذكر... أما الذاكرة المستدامة فتتطلب  
اهتماماً مستداماً، وهو ما افتقده المخيم

من منشورات مؤسسة الدراسات الفلسطينية

## (القضية الفلسطينية / آفاق المستقبل - ٢)

### المقاومة الشعبية تحت الاحتلال

قراءة نقدية وتحليلية

ليندا طبر وعلاء العزة

١٠٣ صفحات ٨ دولارات